الخطايا السبع

(للروائية الشهيرة سلمى لجروف)

أراد الشيطان أن يمكر براهب حكيم . فالتف فى عباءة فضفاضة، ووضع على رأسه قبعة ضخمة مترهلة ، حتى لم يستطع أحد معرفته ، وأخذ سمته الى الكاتدرائية ليرى الشيخ حيث يجلس فى كرسى الاعتراف يتلقى التوابين

قال هذا الماكر « أيها الأب الموقر . أنا مزارع بن مزارع أستيقظ مع الشمس ولا أغفل عن الصلاة . وبعدها أمضى عامة يومى كادحا فى الحقول . وأبلغ بالخير وألقن وعند ما أرغب فى الاقتباس بأصحابى أدعوهم لتناول الشهد والفاكهة وأنا أعول زوجى وليس لى زوجة ولا أرب لى فى النساء . وأثابر على الذهاب الى الكنيسة ولا أحبس زكاة العشر عما أمتلك . وها قد سمعت اعترافى أيها الأب الموقر فهلا منحتنى الغفران »

فأجابه الراهب « يا ولدى أنت أتقى من رأيت . وأنا أغفر لك بارتياح . ولكن سأقص عليك ما حدث منذ زمن ليس بالبعيد فى نفس هذه الاتحاد وسيسرك ما أقصه عليك لانك ستسمع عن أعمال صالحة تفعلك أن الذين قاموا بها يعدون أشقياء واقعين فى الخطيئة اذا قرنوا اليك »

فقال له الشيطان « أيها الأب الموقر ! انك تغرينى بالكبرياء والعجب » فأجابه الراهب « وقانى الله شر هذه الخطيئة الكبيرة . عند ما تسمع ما سأقصه عليك ترجع عن هذا الرأى »

ثم قص عليه هذه القصة

الشريف الاصيل صاحب هذا الحصن القائم على قمة الجبل الواقع فى الناحية المقابلة من النهر عقد العزم على أن يزوج ابنته من رجل سرى قوى النفوذ يحبها حبا شديدا ولكن الفتاة كانت تعارض فى ذلك لانها عاهدت نفسها على الزواج

فكتبت رسالة الى من تحبه أخبرته فيها كيف ان أباها ارغمها على الزواج من رجل آخر وذكرت له انها تودعه وتقدم له أطيب التحيات وترجوه أن يبقي على نفسه ولا يذهب اليأس بلبه لانها لاتزال تحمل له فى مضمر القلب كل اخلاص

ولكن أباها أخذ الرسالة من الرسول ومزقها خفية

واستقبلت الفتاة بوجه عرسها منية الدمع ولكنها حبست دموعها فى الكنيسة ولو ان الحزن كان مرقوما على سطوح وجهها حتى بدت لناظرها كالمتحجرة وبكى كل من فى الكنيسة لاجلها

ولما رأى والدها مافعله بها الحزن عاله عمله فتقاعدا الى مخدعه عقب عودتها من الكنيسة وقال لها ، لقد أسأت اليك ياعزيزتى ، وركع أمامها برغم كبريائه واعترف بأنه ارتكب عملا دنيئا فى مصادرة رسالتها خشية أن يعلم حبيبها فيأتى يوم العرس فى جمع من أصحابه ويحملها بالقوة

فقالت له ، هذا يصح أن يكون عذرك ولكنك لاتدرى ماذا سبب من شقاء ،

وخرجت الى المظلة

وجاء العريس ليستقبلها

، لماذا ياحبيبتى أرى على وجهك أمارات الحزن الشديد ،

فأجابته ، لان لى حبيبا أقسمت ألا أتركه ،

فقال لها ، لايحزنك أن صرت لى زوجة ! ان حبى لك من الشدة بحيث انى لاأظن ان غيرى يستطيع اسعادك أكثر منى ،

فكان جوابها الوحيد ، كل المحبين يقولون ذلك ،

ثم جمعت شجاعتها وقالت لنفسها سأخبره فعسى الله أن يلين قلبه وأفضت اليه بأنها هي وحبيبها قد تعاهدا على أن المهجور منهما ينتحر يوم عرس الهاجر ، ولذا فان حبيبى سيقتل نفسه فى هذا اليوم ، وبلغ منها الالم أشده فجثت عند أقدامه وقالت متوسلة ، دعنى أذهب اليه قبل أن يقضى الامر ،

وكانت قوة حزنها مؤثرة الى حد أن زوجها — وقد جال بفكره انه إذا تركها تذهب الى من تحبها فانه لايراها ثانية — لم يتمالك نفسه عن أن يقول لها افعلى ماتستحسنين فعله

فوقفت وشكرته وعيناها مغرورقتان بالدموع . ثم أخذت طريقها الى صالة الوليمة التي المدعوين وكانوا جالسين على مقاعدهم لزاء الموائد ينتظرون الطعام وقد ترح بهم الطرب بعد الركوب مدة طويلة

وقالت لهم العروس « يا أصدقائي الاعزاء ، لا أكتم عنكم اني ذاهبة بعد الاتفاق مع زوجي الى لقاء حبيبي ، وهو يعتزم اليوم أن يقتل نفسه لاني حلفت بعهد موسى أذهب اليه الآن وأخبره بأني أرغمت على الزواج من غيره . ولا يدهشكم ذهابي بنفسي اليه لان مثل هذه المهمة لا يؤتمن عليها رسول ولا تكفي فيها الرسالة ورجائي اليكم الا تمسكوا عن الاكل والشرب والتطهر أثناء غيابي وسأعود اليكم بعد انقاذ حياته »

فكل جميع الحاضرين عند ما تحدثت عن حزنها وقلقها المساور وقالوا لها لا يجوز لنا الشراب ولا الاكل وأنت تعانين مثل هذا الحزن . اذهبي اليه وبعد عودتك الينا نتناول الطعام ، ونركوا الموائد

وانحازت العروس ساحة القلعة ، وحدث مرضاء والتقط في المطبخ لان أحد الوصفاء ذهب الى رئيس الطهاة وأعلمه ان الوليمة أجلت لمدة ساعات فتضجر الرجل خشية أن يسري الفساد الى ما أكولاته فرمى قرصاً من الزبدة الى النار وكسر سلة من البيض ثم أخذ بثلاثين الوصيف والقاه خارج الباب وبقي ناظراً لمكسبة كبيرة

ولكن عند ما أقبلت العروس وطلبت اليه أن يطلق سراح الغلام أوقف العقوبة وخلى سبيله وقال « الحمد لله الذي جعلك وجيهة الى هذا الحد وما كنت لارزئك حزنا على حزن » وحفظ الاكل مدة ساعات دون أن ينبس بكلمة تدل على التذمر والتغيظ

وسارت العروس وحدها موغلة في الغابة الفسيحة لانها أرادت أن تلقى حبيبها وهي تسعى على القدم غير مصحوبة بأحد كما يدخل الانسان بيت الله وحيدا في ساعة الشدة

وكان يقيم في الغابة رجل منشرد أطاق من مناصحة الطرق فأبصر قدومها وهو متسلق بين الادغال ، وكانت في يدها خواتم وعلى مفرقها تاج من الذهب وقد أحاطت بخصرها منطقة من الفضة وتدلت حول عنقها اللآلىء . فقال اللص لنفسه انها امرأة ضعيفة وسأسلبها جواهرها وأصبح رب ثروة تمكنني من الذهاب الى بلاد أخرى وأن أضع حداً لهذه الحياة البائسة الشقية في هذه الغابة وأغدو رجلا محترما أمينا »

ولكن لما دنت منه العروس وأبصر وجهها سلبته شجاعته لما أفاضه الله عليها من الجمال فقال لنفسه ، أنا لا أقو على ايلامها . انها عروس ومثل هذه الحسناء لا ينبغي أن تسلب حليها في يوم الزفاف ، وخشي الله الذي يراها ويراها وأفسح لها الطريق

وفي نفس الغابة كان يقيم ناسك عجوز يعذب نفسه بالتزامه اليقظة مدة ستة أيام وست ليال ، لا يسمح لنفسه بالنوم الا في اليوم السابع . وكان قد أخذ نفسه بقانون صارم وهو انه اذا غلبه شيء عن أن ينام نوما هادئا فعليه أن يستمر مستيقظا مدة ستة أيام بلياليها وأقنع نفسه بان هذه مشيئة الله . والآن كان اليوم السابع والليلة السابعة قد شارفا الانتهاء دون أن يمنح نفسه الراحة لكثرة المترددين عليه من المحزونين المعذبين ولما فارقهم وأراد أن ينام أبصر بالعروس تخوض احشاء الغابة المتكاثفة فقال لنفسه ، كيف تستطيع هذه المرأة أن تعبر النهر المضطرب الاواذي وقد طفى طوفانه هذه الليلة وأغرق الجسر ؟ ، وترك راحته ومضى اليها وحملها على ظهره وعبر النهر . وعند ماعاد الى مغارته كان الوقت قد انقضى . وهكذا لاجل سيدة لا يعرفها اضطر أن يستمر مستيقظا ستة أيام وست ليال أخرى . ولكنه لم يأسف لذلك لانها كانت من الرقة والملاحة بحيث ان كل من وقعت عينه عليها يحب أن يضحي من أجلها بشيء

وأخيرا وصلت الى منزل حبيبها . ولكنه كان قد حبس نفسه في قاعة واسعة وأحكم ايصاد الباب . فلما قرعت الباب كان لا يريد أن يفتح لانه جرد سيفه وعزم على الانتحار

وكانت الفتاة لا تستطيع أن تناديه ولا أن تتوسل اليه لان الحزن عقد لسانها ولكن دموعها فاضت وسمع نشيجها فلم يستطع أن ينتحر وهو يسمع ذلك فراخى المزلاق وأدخلها

فوقفت أزاءه مضمومة اليدين وشرحت له كيف أرغمت على الزواج من غيره ولما رأى أنه لا يزال يهاب قبلها وعدها بأنه لا ينتحر . ثم تعلقت به فقبلها وشعرا بكل ما يبتسم له القلب البشري من سرور وحزن

وقال لها ، يجب أن تنصرفي الآن لانك لغيري ، . فأجابته ، كيف أقوى على ذلك ، ولكن الفارس الذي يحبها نزع نفسه من بين ذراعيها وقال ، لا أظلم من سمح لك بالمجيء الى ، وأعد جوادين مطهمين وحملها الى منزل ابيها .

هذا ما رواه الأب الراهب للشيطان وهو يجول من حوله . ثم سأله أن يخبره بأسماء الناس الذين ذكرهم فيما ذكر فتضحيه وكان الراهب رجلا عالما بعلم الله العزيز لا يوجد انسان يعرف خطيئته كلا ولم هذا الراهب . ولم فكر الراهب انه بهذه الخطة يستطيع أن يعرف أي الخطايا السبع خطيئته لأنه بمعرفته صنيع الأب والروح أو الشيطان أو رئيس الشهوة أو الغضب أو الحسد و يستطيع الراهب أن يعرف أي كانت خطيئته الكبرى أو الحسد والطمع أو الغضب أو الرئيس أو الكسل أو الشهوانية . لأن الخطيئة التي تذهب بها أشد الاذهاب في الغير هي الخطيئة التي تجد صعوبة في اكتسابها

وكان الشيطان من الاستراق في الكلام لئلا يعرف الشبكة التي صنعها له الراهب . فأجاب حقا انه ليس من السهل الاجابة على سؤالك و يظهر لي أن الروح لم يعط أقل من أعضاء الجسم و من الشيوخ لم يذكر من الخطيئة أكثر من الخطيئة التي وكلت بحفظ أكثر الناس وظن أن هذا هو كل ما يريد الراهب أن يقوله

فقال له الراهب ولكن هذا ذلك ، الذي أرجوه منك في الأول أن تفصل لي هذه الأجناس على الآخر لأنك لا تحقق الخير كثيرا على أي واحد منها »

فقال الشيطان « لا أستطيع أن أنقص أي عمل من أعمالهم ولا أستطيع كذلك المقاصة بينها »

فلم الكلام عليه واذا بها من الله وقال ان صوت هذه الوسيلة اليك ان تقول ان احدة اعظم اكبر خطيئة

فرفض الشيطان أن يقول ذلك وأقسم المغفرة

فالتجأ الراهب قائلا « أنت الآن قبلك كل هذه الخطايا السبع وربما كنت الشيطان نفسه ولم أعلم بشرا أو ملاكا يطلق ذلك وليس من كرسي الاعتراف ولا بالكلي تعالى وشرع يتلو تعويذة طرد الشيطان

ولما رأى الشيطان انفضاح أمره بعد عبادته حتى صارت كأنه بجناحين مرفرفين ثم ارتفع عنه في شكل حمامة أسود ضخم خلال الثقبة المكنية المظلمة

ولم تنكشف حيلته و يبطل تدبيره فقد بقي في استعمال شره بفضل التبرك عظيمة لان قصة الراهب كانت لمدة أجيال وسيلة للوقوف على طوايا النفوس . واذا استعملت بعقل فهي مثل الشبكة يلقى بها الصيادون غمار اليم لاصطياد السمك . وهي تظهر الخطايا المستترة فنستطيع ان نحترزها و نقتصر عليها ؟

ع ـ ١